

الباب الرابع

بحث تحليلي عن الخطاب القرآني في آيات أسوة حسنة في "أضواء البيان"

يبحث في هذا الفصل في الكيفية التي اتسقت بها الخطاب القرآني في آيات أسوة حسنة في "أضواء البيان" في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي. و انعكاسات هذا الإتساق في العلاقة بين النص السورة الكريمة و سياقها، و ربما يجدر بنا التنبيه إلى أن رصد هذه الكيفية بمعنى تحديد المؤهلات اللغوية التي امتلكها النص، و حقوق خلالها وظيفية التواصل مع المخاطبين بلفظ أسوة حسنة.

قد عرض الكاتب أن لفظ أسوة حسنة في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم، إذا أشار القرآن الكريم إلى القضية الأسوة في سياقين؛ نبي الله إبراهيم عليه السلام و سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، في ثلاثة مواضع في القرآن الكريم؛ سورة الأحزاب في الآية الحادية وعشرين و سورة الممتحنة في الآية الرابعة و السادسة. أضاف إليها لفظ "حسنة" في مواضع الثلاثة.

أ. علاقة لفظ أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

بيّن الباحث في الباب السابق معنى لفظ أسوة حسنة في "أضواء البيان". و نجد أن معنى لفظ

أسوة حسنة كالقدوة بل في شكل أقوى، و قد قال الله تعالى في القرآن الكريم:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا
(الأحزاب/٣٣: ٢١).

في هذه الآية نجد أنّ لفظ "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" أضافت إلي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم. و فسّر
الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي أنّ التَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
الله عليه وسلّم يَشْمَلُ الْقَوْلَ وَالْفِعْلَ، وَلَكِنَّهُ فِي الْفِعْلِ أَقْوَى. ^١ فَيَلْزَمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَجْعَلَ قُدْوَتَهُ رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ. ^٢

و قال عبد الكريم يونس الخطيب كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم صلوات الله وسلامه
عليه الأسوة الحسنة، لنسائه وللمؤمنين جميعاً، في تلك الحياة المتواضعة التي كان يجيهاها في مطعمه،
وملبسه، ومنامه. ^٣ وقال محمد بن أحمد بن مصطفى كان النبي صلى الله عليه وسلم الأسوة
الحسنة لقومه وأمته في أخلاقه ومعاملته لأهله، في الغضب والرضا، وفي الوفاق وفي الخلاف. ^٤

و من بعض التّفاسير التي عرضها الباحث، نعرف أنّ التَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشمل كلّ أخلاق و سنّة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم. المقصود من الأسوة ليس ذات
المقتدى به، لا دامه ولا لحمه، بل علي سلوكه وأفعاله في النّهاية. ولا مشاحة بعد ذلك في التّسمية

^١ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (لبنان: دار
الفكر، ١٤١٥ هـ)، ج. ٨، ٣٨.

^٢ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٧،
٣١.

^٣ عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (القاهرة: دار الفكر العربي)، ج. ١١، ٦٨٩.

^٤ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، زهرة التفاسير، (دار الفكر العربي)، ج. ٢، ٧٥٦.

علي الشخص أو علي سلوكه. ولا مانعا من أن يكون معنى الأسوة الأمرين معا، فيسمى الرجل نفسه أسوة، ويسمى فعله أسوة أيضا.^٥

ونعرف أخلاق وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيرة النبي، وعلاقة الأسوة الحسنة بالسيرة النبي هي بأن السيرة النبوية هي محل الأسوة بالنبي. إن علم السيرة هو علم الذي يرصد ما نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحداث حياته، فيدخل فيها ما يتعلق به في وصفه نبيا مبلغا عن الله، و في وصفه قاضيا، و في وصفه صاحب منهج، و قائد دولة، و في وصفه أبا، و زوجا و جارا، و يدخل فيها ما يرتبط بحياته في سلمه و في حربه، كل هذا يدخل في علم السيرة.

نستبين علاقة الأسوة الحسنة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، نعود في القرآن الكريم إلى سياق قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب/ ٣٣: ٢١)، و إلى سبب نزول النص لنجد أنه قد جاء في معرض الحديث عن واحد من أهم الأحداث في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وهو غزوة الأحزاب من قوله تعالى: إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٢٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٢١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٢﴾ (الأحزاب: ١٠-١٢).

و في هذا السياق يأتي قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الاحزاب ٢١، ثم يعود ثانية إلى السيرة: وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ

^٥ عماد الدين الرشيد، الأسوة الحسنة في القرآن الكريم و تطبيقاتها في السيرة النبوية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية

الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا
 بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ (الأحزاب: ٢٢-٢٣). و ذكر الرجال الذين صدقوا ما عهدوا الله عليه في أثناء
 ذكر الأسوة بالنبي.^٦

إنّ مجي آية الأسوة الحسنة في وسط الحديث عن موقف مهم من سيرة النبي و علاقة
 الأسوة الحسنة بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم هي بأن سيرة النبوية هي محلّ الأسوة بالنبي صلى الله
 عليه وسلم. كما قال الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي أنّ
 التأسّي برسول الله صلى الله عليه وسلم يشملُ القَوْلَ وَالْفِعْلَ، وَلَكِنَّهُ فِي الْفِعْلِ أَقْوَى.^٧ ولا نعرف
 كيفية أفعال النبي صلى الله عليه وسلم إلاّ بسيرة النبوية.

و ما أظنّ يخفي أنّ ما ذكره السياق القرآني في آية الأسوة من سورة الأحزاب لا يعني قصر
 الأسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم. فالسيرة كلّها هي محلّ القدوة، وما ورد في هذا السياق ما هو
 إلاّ نموذج ينتقد المتخلفين عن الغزوة. قال جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) في الخصائص
 الكبرى: (و من خصائصه أنّ الله تعالي فرّض طاعته علي العالم فرضا مطلقا لا شرط فيه و لا
 إستثناء، فقال: وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم فانتهوا، و قال: و من يطع الرسول فقد أطاع

^٦ عماد الدين الرّشيد، الأسوة الحسنة في القرآن الكريم و تطبيقها في السيرة النبوية، مجلّة جامعة دمشق للعلوم الإقتصادية

القانونية، ٧.

^٧ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٨،

الله. و إنّ الله تعالى أوجب علي الناس التأسى به قولاً و فعلاً مطلقاً بلا استثناء، فقال: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ^٨.

و مما يزيد العلاقة ما بين الأسوة الحسنة و السيرة النبوية وضوحاً أن نستذكر أنّ الآية الأسوة الحسنة من سورة الأحزاب أضافت إلي رسول الله صلى الله عليه و سلم. فمحلّ الأسوة هو النبي الله صلى الله عليه و سلم، و لو أضافنا إلي ذلك أنّ مجال الأسوة الحسنة هو سلوك صاحب الأسوة. و أننا بينا أنّ علم السيرة هو علم الذي أجمع أحوال النبي الله صلى الله عليه و سلم. فستذكر تماماً عدم انفكاك مفهوم الأسوة الحسنة عن سيرة المصطفى الله صلى الله عليه و سلم.

و من ضوء الخطاب القرآني في تفسير أضواء البيان لإمام الشنقيطي رحمه الله في آية الأسوة الحسنة في سورة الأحزاب أنّ إتباع و التأسى برسول الله صلى الله عليه و سلم من طاعة الله كما فسّر الشيخ: قَالَ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (يوسف/١٢ : ١١١)، فَصَرَّحَ بِأَنَّهُ يُقْصَصُ قَصَصُهُمْ فِي الْقُرْآنِ لِلْعِبْرَةِ، وَهُوَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِمَا ذَكَرْنَا، وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ ذَكَرَ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ، قَالَ لِنَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ (الأنعام/٦ : ٩٠)، وَأَمْرُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَمْرٌ لَنَا ; لِأَنَّهُ قُدُّوتُنَا، وَلِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ الْآيَةَ (الأحزاب/٣٣ : ٢١)، وَيَقُولُ: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي الْآيَةَ (آل عمران/٣ : ٣١)، وَيَقُولُ: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ الْآيَةَ

^٨ جلال الدين السيوطي، الخصائص الكبرى، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ج. ٢، ٢٠٤٢.

(الحشر/٥٩: ٧). وَيَقُولُ: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ الْآيَةَ (النساء/٤: ٨٠)، وَمَنْ طَاعَتِهِ
اتَّبَاعُهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ كُلُّهُ.^٩

لوجود قول الله تعالى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ الْآيَةَ (النساء/٤: ٨٠)، وقوله تعالى:
وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ الْآيَةَ (الحشر/٥٩: ٧)، وقوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي الْآيَةَ
(آل عمران/٣: ٣١)، يبين لنا أنّ محلّ الأسوة الحسنة هو رسول الله صلى الله عليه و سلم، ولوجود
قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (يوسف/١٢: ١١١)، و كان في رسول الله
صلى الله عليه و سلم أسوة حسنة، لأنّه صلى الله عليه و سلم المثال الحي المرتقي في درجات
الكمال، يثير في نفس البصير العامل قدرا كبيرا من الإستحسان و الإعجاب و التقدير و المحبة.^{١٠}
و ليس للمسلمين من سبيل إلاّ هذا السبيل، يعني سبيل إتباع الرسول الله صلى الله عليه
وسلم. طليعة تتأسى خطوات الرسول الله صلى الله عليه وسلم و أصحابه شبرا بشبر و ذراعا بذراع
في كلّ ظاهرة و خفيّة و في كلّ دقيقة و جليلة، في العبادة و التفكير و الحرب و التدبير و السياسة و
الدعوة و الجرأة و الحكمة، كما قال تعالى: وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَدِّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾.^{١١}

^٩ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن... ج. ٨،

١٣٥.

^{١٠} صالح بن محمد و عبد الرحمن بن محمد، موسوعة نضرة التعميم في مكارم أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(سعودي: دار الوسيلة، ١٩٩٨)، ج. ٢، ٣٥٠.

^{١١} صالح بن محمد و عبد الرحمن بن محمد، موسوعة نضرة التعميم في مكارم أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم... ج. ٢،

٣٥٠.

و من ضوء الخطاب القرآني في تفسير أضواء البيان لإمام الشنقيطي رحمه الله في آية الأسوة
الحسنة أن خطاب لفظ الأسوة الحسنة في تفسير أضواء البيان لإمام الشنقيطي رحمه الله الخاص به
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْْمُ حُكْمُهُ جَمِيعَ الْأُمَّةِ، كما فسّر الشيخ قَوْلُهُ: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ الْآيَةَ (الأحزاب/ ٣٣: ٢١)، وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنَّ الْخُطَابَ الْخَاصَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعْْمُ حُكْمُهُ جَمِيعَ الْأُمَّةِ إِلَّا بِدَلِيلٍ عَلَى الْخُصُوصِ كَمَا عَقَدَهُ فِي «مَرَافِي السُّعُودِ» بِقَوْلِهِ:
[الرَّجَزِ].^{١٢}

و مما يقدم الشيخ رحمه الله تعالى من تفسيره في آية الأسوة الحسنة في سورة الأحزاب في
تفسير أضواء البيان أن إتباع و التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم يشمل في جميع أفعاله و
أخلاقه و أقواله و أحواله و جميع سيرة حياته. كما ورد في الأحاديث، مثال ذلك في رواية عن
الصلابة علي الدب في السفر: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
بْنِ عُمَرَ، أَنَّ سَعِيدًا أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي سَفَرٍ، فَكُنْتُ أَسِيرُ
مَعَهُ وَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا خَشِيتُ أَنْ يَطَّلِعَ الْفَجْرَ تَخَلَّفْتُ، فَنَزَلْتُ فَأَوْتَرْتُ، ثُمَّ رَكَبْتُ، فَلَحِقْتُهُ،
قَالَ ابْنُ عُمَرَ: أَيْنَ كُنْتَ؟ فَقُلْتُ: يَا أبا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، نَزَلْتُ فَأَوْتَرْتُ وَخَشِيتُ أَنْ أَصْبِحَ، فَقَالَ:
أَلَيْسَ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ؟ فَقُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ «يُوتِرُ عَلَى الْبَعِيرِ».^{١٣}

^{١٢} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن... ج. ١،

^{١٣} مالك بن أنس بن مالك، موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني، (المكتبة العلمية)، ج. ١، ٨٣.

وابتعث الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليزكي النفوس والمسالك بالقُدوة الحية الماثلة
 المجلوة: (لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
 وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ). والتركيبه بالقُدوة هي السنة: (لَقَدْ
 كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا).^{١٤} و
 كذلك في العبادة لا بد لنا التأسى برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل ذلك: حَدَّثَنَا يُونُسُ،
 حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، وَصَلَّى خَلْفَ الْمَقَامِ رَكَعَتَيْنِ، وَطَافَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَقَالَ: "
 {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}.^{١٥}

و الحديث يبين كيفية الطواف بالبيت الحرام و بين الصفا و المروة و الصلاة خلف المقام
 ركعتين كما مثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. و هذا الحديث يشير أن ما فعل رسول الله صَلَّى
 اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في العبادة كما في هذا الحديث؛ الحج، أسوة لنا، و هذا الأسوة في رسول الله صَلَّى
 اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ناحية العبادة. و في حديث آخر: حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ، حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ
 بْنُ عَتِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَابِيهِ، عَنْ يَعْلَى بْنِ أُمِيَّةَ، قَالَ: طُفْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَلَمَّا كُنْتُ
 عِنْدَ الرُّكْنِ الَّذِي يَلِي الْبَابَ مِمَّا يَلِي الْحَجَرَ، أَخَذْتُ بِيَدِهِ لِيَسْتَلِمَ، فَقَالَ: أَمَا طُفْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ

^{١٤} أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ)، ج. ١،

^{١٥} أبو داود سليمان بن داود، مسند أبي داود الطيالسي، (مصر: دار هجر، ١٤١٩ هـ)، ج. ٣، ٤١٨.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهَلْ رَأَيْتَهُ يَسْتَلِمُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَأَنْفُذْ عَنْكَ فَإِنَّ لَكَ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً».^{١٦}

ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المظهر العملي لشريعة الله تعالى فهو المكلف الأول {وأنا أول المسلمين} الأنعام: ١٦٣. {وأنا أول المؤمنين} الأعراف: ١٤٣. وهو القدوة الصالحة {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة} الأحزاب: ٢١. وهو الذي يتلقى الوحي من السماء {وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى} النجم: ٣-٤. وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الذي قذف الله النور في قلبه وأجرى الحق على لسانه وجعل طاعته من طاعته ومعصيته معصية له سبحانه {ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا} النساء: ٨. ١٧.

لهذا كله كانت السنة المطهرة في مجمل أحكامها وتشريعاتها - من حيث وحبوب العمل بها بمنزلة كتاب الله تعالى فما ثبت فيها فهو ثابت بوحي من الله سبحانه وأمر منه وتكليف {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} الحشر: ٧. وعليه فالسنة حجة على المسلمين بلا خلاف وقد أجمع علماء الأمة على أن من أنكر حجتها عموما فهو كافر مرتد عن الإسلام. وإذا كان الأمر كذلك فلا بد للمسلمين من الرجوع إلى ما نقل عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول أو فعل أو تقرير والأخذ بما ثبت منه ليعمل به. ولقد بذل السلف الصالح من العلماء جهودا مشكورة في خدمة دين الله عز وجل.^{١٨}

^{١٦} أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ)، ج. ١، ٣٦٥.

^{١٧} محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، (دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ)، ج. ١، مقدمة مصطفى البغا.

^{١٨} محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه...، ج. ١، مقدمة مصطفى البغا.

و بناء علي كلّ شروح عرّضها الباحث، يمكن أن المراد بالأسوة الحسنة التي ذكرها سورة الأحزاب في سيّدنا محمد صلّى الله عليه و سلّم. و محلّ الإقتداء هو سلوكه القائم أساسا علي الوحي. و الباحث يشرح في السابق أنّ نعرف كيفية أفعال النبي صلّى الله عليه و سلّم إلاّ بسيرة النبوية. فسيرة النبي بيّن كلّ أقوال، أفعال، و أخلاق رسول الله صلّي الله عليه و سلّم. فالعلاقة وثيقة جدّا ما بين السيرة النبوية و الأسوة الحسنة كما بيّن الخطاب القرآني بسياق رسول الله صلّي الله عليه و سلّم في تفسير أضواء البيان لإمام الشنقيطي رحمه الله.

و قال أبو جعفر الطبري في تفسيره "جامع البيان في تأويل القرآن" عن سورة الأحزاب آية ٢١: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) : أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلّفوا عنه (لمن كان يرّجو الله) يقول: فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو.^{١٩} و كذلك قال أبو إسحاق الزجاج في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} (الأحزاب/٣٣: ٢١)، والرسول عليه السلام هو نفسُ الأُسوة.^{٢٠} يزيد الباحث البيان من المفسّرين الآخر ليوضح السياق في لفظ أسوة حسنة في سورة الأحزاب.

و من ضوء الخطاب القرآني عن آية أسوة حسنة في سورة الأحزاب في تفسير أضواء البيان لإمام الشنقيطي رحمه الله، يستنبط الباحث أنّ محلّ الأسوة الحسنة هو رسول الله صلّي الله عليه و سلّم و أنّ التأسّي برسول الله صلّي الله عليه و سلّم يشمل أقواله و أفعاله و أخلاقه.

^{١٩} أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، ج. ٢٠، ٢٣٥.

^{٢٠} أبو إسحاق الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨ هـ)، ج. ٤، ٣٨٥.

لا نعرف كلّ أقواله و أفعاله و أخلاقه إلا من السيرة النبويّة. لأنّ السيرة النبوية و الأسوة الحسنة له العلاقة وثيقة جدًا. و قد ذكر في الباب الثالث أنّ التأسّي أشدّ في بابه من الإقتداء، و التأسّي يجعل من الإلتزام من الغير بشكل أقوى. و نتأسّي برسول الله صلّى الله عليه و سلّم في أقواله و أفعاله و أخلاقه إلا في خصوصيّته بقدر ما نستطيع.

و رسول الله صلّى الله عليه و سلّم محلّ الأسوة الحسنة لأنّه مثال من الكمال التّسبي المطلوب، يثير في الوجدان الإعجاب فتتأثّر به تأثيراً عميقاً، فتتجذب إليه بصورة تولّد في الإنسان القناعة به، والإخلاص الكامل له، و لجميع أقواله و أفعاله و أخلاقه كلّها من أحسن أفعال، و أحسن أقوال و أحسن اخلاق. وابتعث الله تعالى رسوله صلّى الله عليه وسلّم ليزكي النفوس والمسالك بالقُدوة الحَيَّة الماثلة. و إذا نظرنا إلى من يتأسّي برسول الله صلّى الله عليه و سلّم كأصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، و ذرّيّة رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، نجد أنّهم من أحسن النّاس خلقاً لأنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم من أحسن النّاس خلقاً.

ب. علاقة لفظ أسوة حسنة بنبيّ الله إبراهيم عليه وسلّم

و بعد التّحليل عن لفظ أسوة حسنة في رسول الله صلّى الله عليه و سلّم، سيبيّن الباحث

عن علاقة لفظ أسوة حسنة بنبيّ الله إبراهيم عليه وسلّم. لقوله تعالى:

١. قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا

قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ
أَتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (المتحنة/٦٠: ٤).

٢. لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ (المتحنة/٦٠: ٦).

في هذه الآية نجد أنّ لفظ "أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" أضافت إلي نبيّ الله و خليل الله إبراهيم عليه
السلام و الذين معه. و فسّر الشّيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكني
الشنقيطي أنّ التّأسيّ بنبيّ الله إبراهيم عليه السلام في ثلاثة أمور، و ذلك بقوله: إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ
إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ الْآيَةَ. فَالتّأسيّ هُنَا فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أَوَّلًا: التَّبَرُّؤُ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

ثَانِيًا: الْكُفْرُ بِهِمْ.

ثَالِثًا: إِبْدَاءُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَإِعْلَانُهَا وَإِظْهَارُهَا أَبَدًا إِلَى الْعَايَةِ الْمَذْكُورَةِ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَخَدَهُ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْقَطِيعَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ، وَزِيَادَةٌ عَلَيْهَا إِبْدَاءُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ أَبَدًا،
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْكُفْرُ، فَإِذَا آمَنُوا بِاللَّهِ وَخَدَهُ انْتَفَى كُلُّ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ^{٢١}. وَهُنَا سُؤَالٌ، هُوَ
مَوْضِعُ الْأُسْوَةِ إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِدَلِيلِ الْعَطْفِ بَيْنَهُمَا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ

^{٢١} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٨،

إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ فَقَائِلُ الْقَوْلِ لِقَوْمِهِمْ إِبْرَاهِيمُ وَالَّذِينَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ، وَهَذَا مَحَلُّ التَّأْسِي بِهِمْ فِيمَا قَالُوهُ لِقَوْمِهِمْ^{٢٢}.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، فَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ مَوْضِعَ التَّأْسِي، وَمَوْضِعُ التَّأْسِي الْمَطْلُوبِ فِي إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هُوَ مَا قَالَهُ مَعَ قَوْمِهِ الْمُتَقَدِّمِ جُمْلَةً، وَمَا فَصَّلَهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (الزخرف/٤٣: ٢٦-٢٧) وَهَذَا التَّبَرُّؤُ جَعَلَهُ بَاقِيًا فِي عَقِبِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ (الزخرف/٤٣: ٢٨).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ الْآيَةَ، لَمْ يُبَيِّنْ هُنَا سَبَبَ هَذَا الْإِسْتِثْنَاءِ وَهَلْ هُوَ خَاصٌّ بِإِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ، أَمْ لِمَادَا؟

وَقَدْ بَيَّنَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (التوبة/٩: ١١٤)، تِلْكَ الْمَوْعِدَةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ فِي بَادِي دَعْوَتِهِ حِينَمَا قَالَ لَهُ أَبُوهُ: أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي

^{٢٢} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٨،

حَفِيًّا (مریم/ ١٩ : ٤٦-٤٧)، فَكَانَ قَدْ وَعَدَهُ وَوَفَّى بِعَهْدِهِ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ، فَكَانَ مَحَلُّ التَّاسِّي فِي إِبْرَاهِيمَ فِي هَذَا التَّبَرُّؤِ مِنْ أَبِيهِ، لَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ^{٢٣}.

و من ضوء الخطاب القرآني في تفسير أضواء البيان، أن الشيخ رحمه الله تعالى يشرح سياق هذه الآية بشرح واضح كما فسّر الشّيخ في السابق، و أنّ النصّ يبيّن أنّ الأسوة تستحقّ مكانة الإقتداء بمواقف تصدر عنها ترفعها إلى درجة الأسوة، و في هذا المشهد القرآني نجد ثورة هؤلاء الرّبانين الممزوجين بمعارف الوحي، التي منحتهم بقواعد التّفكير الصّحيح عندما كان نبيّ الله إبراهيم عليه السّلام يبيّن لهم لا يمكن أن نكون التّجم ربّاً، ولا القمر ربّاً، و لا الشّمس ربّاً، ثمّ صرفهم إلى الله ربّ العالمين.

هذا هو التّفكير الصّحيح الذي يكتسبه الإنسان من الوحي، وهؤلاء هم الممزوجين بالعلم، وبالوحي، وبالْحكمة، وبالمعرفة ثاروا علي فكر أرضي مختلف كان يعتقده قومهم المشركون فثاروا علي هذا التّفكير. وقال الله تعالى: إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ، هذا الموقف المبدئ هو موقف أهل التّوحيد من الوثنيّة، موقفهم من إحتقار العقل، ومن إحتقار العلم، ومن مصادمت معارف الوحي التي تتعارض كلياً مع مفاهيم الوثنيّة. لقد جاء الإسلام ثورة علي الوثنيّة و الشّرك والجاهليّة، لأنّه لا يرضى أبدا لهذا المخلوق الذي كرم بأهمّ صفة وهي صفة العلم و العقل أن يتخلّى عن هذه الصّفة.

^{٢٣} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٨.

يدلّ هذا النصّ علي أنّ من أهمّ صفات الأسوة أن يكون لصاحب الأسوة مواقف مرجعيّة، لأنّ المواقف في حقيقة الأمر هو الذي يصنع، ويصقل صاحب الأسوة، ويمنحه مكانة الإقتداء. و يمكن القول إنّ كلّ شخصيّة مرجعيّة هي الأسوة، لا يشترط في الأسوة أن تكون شخصيّة مرجعيّة. إذا صفة الأسوة في غاية الأهميّة فإتباع إبراهيم، ثاروا فكريا و إجتماعيا و حتّى سياسيا علي الملوك الذين تتمثل فيهم عدع الوثنيّة، كالنمرود. و قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨). يذكر تعالى مناظرة خليله مع هذه الملك الجبار المتمرّد، الذي ادّعى لنفسه الرُّبوبيّة، فأبطل الخليل عليه دليله، وبَيَّنَّ كَثْرَةَ جَهْلِهِ وَقَلَّةَ عَقْلِهِ، وَأَجْلَمَهُ الْحُجَّةَ، وَأَوْضَحَ لَهُ طَرِيقَ الْمَحَجَّةِ.^{٢٤}

وسيوضح الباحث بالتروية: حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: ذكر لنا والله أعلم: أن نمرود قال لإبراهيم فيما يقول: رأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته، (١) وتذكر من قدرته التي تعظمه بما على غيره، ما هو؟ قال له إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود: فأنا أحيي وأميت! فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: آخذ رجلين قد استوجبا القتل في حكمي، فأقتل أحدهما فأكون قد أمته، وأعفو عن الآخر فأتركه وأكون قد أحييته! فقال له إبراهيم عند ذلك: فإن الله يأتي بالشمس من

^{٢٤} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، قصص الأنبياء، (القاهرة: مطبعة دار التأليف،

المشرق، فأت بها من المغرب، أعرف أنه كما تقول! فبهت عند ذلك نمرود، ولم يرجع إليه شيئاً، وعرف أنه لا يطيق ذلك. يقول تعالى ذكره: "فبهت الذي كفر"، يعني وقعت عليه الحجة: يعني نمرود.^{٢٥} إذا هي ثورة علي تقاليد البشر ومفاهيمهم التي تصطدم مع الوحي. و هكذا نجد أن أهم ما ينبغي أن تتصف به الأسوة الحسنة من هذا النص صفتان، هما:

١. العلم و الإلتصاق بالوحي.

٢. أن يكون الأسوة صاحب المواقف.

و لإعتقاده فضل الله نبي الله إبراهيم عليه السلام بأن يكون خليله. يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى قَوْمِهِ عِبَادَةَ لَأوثَانٍ وَحَقَّرَهَا عِنْدَهُمْ وَصَغَّرَهَا وَتَنَقَّصَهَا، فَقَالَ: " مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ؟! أَيُّ مُعْتَكِفُونَ عِنْدَهَا وَخَاضِعُونَ لَهَا، قَالُوا: " وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ." مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا صَنِيعُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَنْدَادِ." قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ.^{٢٦} كَمَا قَالَ تَعَالَى: " إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ أَفُنُكَا آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ "

فضل الله نبي الله إبراهيم عليه السلام لطاعته و لإعتقاده، كما أمر الله نبي الله إبراهيم عليه السلام بأن يخين ولده أن إبراهيم أمره الله بأن يخين ولده إسماعيل وكل من عنده من العبيد وغيرهم فاختنهم، وذلك بعد مضي تسع وتسعين سنة من عمره، فيكون عمر إسماعيل يومئذ ثلاث عشرة

^{٢٥} أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، ج. ٥، ٤٣٧.

^{٢٦} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، قصص الأنبياء...، ١٧٧.

سَنَةً. وَهَذَا امْتِثَالٌ لِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فِي أَهْلِهِ، فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ فَعَلَهُ عَلَى وَجْهِ الْوُجُوبِ.^{٢٧} و لطاعة
نبي الله إبراهيم عليه السلام في ختان نبي الله إسماعيل عليه السلام.

و إذا أتى أمر الله إليه أجاب ربه وامتثل أمره، وسارع إلى طاعته. كما في حديث ذبح نبي
الله إسماعيل عليه السلام: رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يؤمر بدبح ولده هذا. وفي الحديث
عن ابن عباس مرفوعاً: " رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ " قَالَ عُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ أَيْضًا. وَهَذَا اخْتِبَارٌ مِنَ اللَّهِ
عَزَّوَجَلَّ لِخَلِيلِهِ فِي أَنْ يَذْبَحَ هَذَا الْوَلَدَ الْعَزِيزَ الَّذِي جَاءَهُ عَلَى كَبِيرٍ، وَقَدْ طَعَنَ فِي السَّنِّ، بَعْدَ مَا أَمَرَ
بِأَنْ يُسَكِّنَهُ هُوَ وَأُمَّهُ فِي بِلَادِ قَعْرِ، وَوَادٍ لَيْسَ بِهِ حَسِيسٌ وَلَا أُنَيْسٌ، وَلَا زَرْعٌ وَلَا ضَرْعٌ. فَاُمْتِثَالَ أَمْرِ
اللَّهِ فِي ذَلِكَ، وَتَرْكُهُمَا هُنَاكَ ثِقَةً بِاللَّهِ وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ، فَجَعَلَ اللَّهُ لهُمَا فَرْجًا وَمَخْرَجًا وَرَزَقَهُمَا مِنْ حَيْثُ
لَا يَحْتَسِبَانِ.^{٢٨}

ثُمَّ لَمَّا أَمَرَ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ بِدَبْحِ وَلَدِهِ هَذَا الَّذِي قَدْ أَفْرَدَهُ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ، وَهُوَ بِكُرْهِهِ وَوَحِيدُهُ
الَّذِي لَيْسَ لَهُ عَيْرُهُ، أَجَابَ رَبَّهُ وَامْتِثَلَ أَمْرَهُ، وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ. ثُمَّ عَرَضَ ذَلِكَ عَلَى وَلَدِهِ لِيَكُونَ
أَطِيبَ لِقَلْبِهِ وَأَهْوَنَ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَأْخُذَهُ قَسْرًا وَيَذْبَحَهُ قَهْرًا: " قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ
فَانظُرْ مَاذَا تَرَى؟ " فَبَادَرَ الْعُلَامَ الْخَلِيمَ، سر والدة الخليل إبراهيم، فقال: " يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ
سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ. " وَهَذَا الْجَوَابُ فِي غَايَةِ السَّدَادِ وَالطَّاعَةِ لِلْوَالِدِ وَلِرَبِّ الْعِبَادِ.^{٢٩}

^{٢٧} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، قصص الأنبياء...، ٢٠٨.

^{٢٨} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، قصص الأنبياء...، ٢١١.

^{٢٩} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، قصص الأنبياء...، ٢١١.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ " قِيلَ: أَسْلَمَا: أَيِ اسْتَسْلَمَا لِأَمْرِ اللَّهِ وَعَزَمَا عَلَى ذَلِكَ. وَقِيلَ: وَهَذَا مِنَ الْمُقَدَّمِ وَالْمُؤَخَّرِ، وَالْمَعْنَى: " تَلَّهُ لِلْجَبِينِ " أَيِ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ. قِيلَ أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَهُ مِنْ قَفَاةٍ لَيْثًا يُشَاهِدُهُ فِي حَالِ دَبْحِهِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ. وَقِيلَ: بَلْ أَضْجَعَهُ كَمَا تُضْجَعُ الدَّبَائِحُ وَبَقِيَ طَرْفُ جَبِينِهِ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ " وَأَسْلَمَا " أَيِ سَمَى إِبْرَاهِيمَ وَكَبِرَ، وَتَشْهَدُ الْوَالِدُ لِلْمَوْتِ. قَالَ السُّدِّيُّ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ: أَمَرَ السُّكَّانَ عَلَى حَلْقِهِ فَلَمْ تَقْطَعْ شَيْئًا. وَيُقَالُ: جُعِلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلْقِهِ صَفِيحَةٌ مِنْ نُحَاسٍ.^{٣٠}

و بعده أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا يَكُونُ لِأَهْلِ الْأَرْضِ كِتَابًا الْمَعَابِدِ لِمَلَائِكَةِ السَّمَوَاتِ، وَأَرْشَدَهُ اللَّهُ إِلَى مَكَانِ الْبَيْتِ الْمُهَيَّأِ لَهُ، الْمَعِينِ لِذَلِكَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، أَجَابَ رَبُّهُ وَأَمْتَلَّ أَمْرَهُ، وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ. كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنَا، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًى، وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (البقرة/ ٢: ١٢٥).

و قَالَ أَبُو جَعْفَرِ الطَّبْرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ: الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٤). يَقُولُ تَعَالَى

^{٣٠} أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، قصص الأنبياء...، ٢١٢.

ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة: يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن، تقتدون به، والذين معه من أنبياء الله.^{٣١}

و من ضوء الخطاب القرآني عن آية أسوة حسنة في سورة الممتحنة في تفسير أضواء البيان لإمام الشنقيطي رحمه الله، يستنبط الباحث أنّ محلّ الأسوة الحسنة هو في إعتقاد و طاعة و دعوة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، كما قال الشيخ رحمه الله تعالى: . فَالتَّاسِي هُنَا فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: أَوَّلًا: التَّبَرُّؤُ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. ثَانِيًا: الْكُفْرُ بِهِمْ. ثَالِثًا: إِبْدَاءُ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَإِعْلَانُهَا وَإِظْهَارُهَا أَبَدًا إِلَى الْعَايَةِ الْمَذْكُورَةِ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَهَذَا غَايَةٌ فِي الْقَطِيعَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِمْ، وَزِيَادَةٌ عَلَيْهَا إِبْدَاءُ الْعِدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ أَبَدًا، وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْكُفْرُ، فَإِذَا آمَنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ انْتَفَى كُلُّ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ^{٣٢}.

و من ضوء الخطاب القرآني عن آية أسوة حسنة في سورة الممتحنة في تفسير أضواء البيان لإمام الشنقيطي رحمه الله، أنّ ليس من التّاسي في إستغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه، كما قال الشيخ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ، فَهَذَا الْقَوْلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ لَيْسَ مَوْضِعَ التَّاسِي، وَمَوْضِعُ التَّاسِي الْمَطْلُوبُ فِي إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - هُوَ مَا قَالَهُ مَعَ قَوْمِهِ الْمُتَقَدِّمِ جُمْلَةً، وَمَا فَصَّلَهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا

^{٣١} أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ)، ج. ٢٧، ٣١٧.

^{٣٢} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٨،

الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّئُهُدِينَ (الزخرف/٤٣ : ٢٦-٢٧) وَهَذَا التَّبَرُّؤُ جَعَلَهُ بَاقِيًا فِي عَقْبِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ (الزخرف/٤٣ : ٢٨).^{٣٣}

و الخطاب القرآني من آلية السياق في آية أسوة حسنة في سورة الممتحنة هو كما بين الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيمي الشنقيطي في السابق، أن التأسى بنبي الله إبراهيم عليه السلام في آية أسوة حسنة في سورة الممتحنة في ثلاثة أمور أولًا: التَّبَرُّؤُ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ. ثَانِيًا: الْكُفْرُ بِهِمْ. ثَالِثًا: إِبْدَاءُ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَإِعْلَانُهَا وَإِظْهَارُهَا أَبَدًا إِلَى الْعَايَةِ الْمَذْكُورَةِ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ.^{٣٤} إِلَّا إِسْتِغْفَارَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَبِيهِ. وَ التَّأْسَى بِنَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِعْتِقَادٍ وَ طَاعَةٍ وَ دَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّهُ إِذَا أَتَى أَمْرَ اللَّهِ إِلَيْهِ أَجَابَ رِيَّةً وَامْتَثَلَ أَمْرَهُ، وَسَارَعَ إِلَى طَاعَتِهِ. إِنَّمَا يَقْصِدُ لَفْظَ الْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ فِي الْقُرْآنِ الَّتِي أَضَافَ كَلِمَةَ الْأَسْوَةِ الْحَسَنَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ لِحَلِيلِ اللَّهِ تَعَالَى نَبِيِّ اللَّهِ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ فَقَطْ هُوَ لِإِبْقَاءِ سَنَةِ النَّبَوِيَّةِ الْحَسَنَةِ فِي الْأُمَّةِ، نَعْرِفُهَا مِنَ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ.

^{٣٣} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيمي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٨،

^{٣٤} محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكيمي الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن...، ج. ٨،